

اهداء المؤلف

إلى صاحب السعادة

وزير الدولة الملكي ، البارون فون تزيدلتز

سيدي :

إن العمل في مصلحة سعادتكم هو معاضدة العلوم ودفعها قدماً إلى الأمام ، من حيث ان نماءها يكمن فينا ، ونظراً لكون مصلحتكم الخاصة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعلوم ، وارتباطها هذا ، لا يقوم من حيث كون سعادتكم تشغلوه منصبأً سامياً ، كحامٍ للعلم ونصير له ، بل أيضاً من خلال علاقة أوثق بكثير من علاقة منصبكم ذاك ، ألا وهي علاقة حب وفاض مستثار . وهذا السبب أتقدم بالوسيلة الوحيدة التي أمتلكها للبرهنة على امتناني للثقة الكريمة التي يشرفني بها سعادتكم ، كما لو أنه كان بمستطاعي أنا أيضاً أن يكون لدى بعض طاقة من عون في عملكم النبيل .

(ان أي امريء يقترب بحياة تأملية ، يجد ، برغائب معتدلة ، استحسان
قاض رئيف مستنار ، حافزاً قوياً على الدراسات التي تكون عظيمة
النتائج ، لكنها بعيدة المنال ، عزيزة المجال ، ولذلك تتجاهلها العيون
الخسيسة تجاهلاً كلياً (١) .)

والىك ، بوصفك قاضياً كذاك ، والى رعايتك الرؤوف ، أقدم هذا
الكتاب واضعاً جميع المشاريع الأخرى لمستقبل الأدب تحت حياتكم
الخاصة ، وباقياً بعميق احترام .

أطوع خادم لسعادتكم

مانويل كنت

كونغسبرغ في ٢٩ آذار سنة ١٧٨١

١ - لقد حذفت الفقرة الثانية من الطبعة الثانية ، كما وان الجملة الأخيرة قد جرى
تعديلها تعديلاً طفيفاً .

مقدمة المؤلف

إن لعقلنا هذا القدر الغريب ، وذلك من جهة الفصل الواحد من معرفته ، فهو دوماً يُقلّق باسئلة لا يستطيع أن يتتجاهلها لأنها تنسج من طبيعته بالذات ، ولا يستطيع أن يحيط عليها لأنها تسمو فوق طاقات العقل البشري وقواه .

ويتوجب ألا يلام العقل البشري على هذا . فهو يبدأ بمبادئه يحب أن تتبع أو تتتابع في سياق الخبرة ، مباديء تقرها الخبرة بأقراراً كافياً . وهو بهذه ، ووفقاً لضرورات طبيعية ، يرتفع ثانية أعلى فأعلى وإلى أوضاع أو حالات أشد بعدها . ولكنه عندما يدرك أن عمله بهذه الاسلوب سيقى أبداً ناقصاً ، بسبب أن الاسئلة لا تنتهي أو تتوقف مطلقاً ، عندئذ يحيد نفسه ملزماً بأن يلتجأ إلى المباديء التي تتجاوز كل تطبيق إختباري ممكن ، ومع ذلك تبدو غير قابلة للاعتراض عليها ، وإلى حد يجعل حتى الحس السليم العادي يقبل بها ويوافق عليها . وهكذا يصبح العقل ، على

كل حال ، 'مستغرقاً في الظلام وموّرطاً في المناقضات' ، التي قد يستنتاج منها ، بلا ريب ، أن الأخطاء يجب أن تكون كامنة في مكان ما ، ولكنه يعجز عن اكتشافها ، لأن المباديء التي يتبعها تتجاوز كل حدود الخبرة ، وهذا تسحب المباديء بذواتها من ميدان كل التجارب الاختبارية . إنه ميدان المعركة هذه القضايا التي لا نهاية لها والتي 'تدعى بالميافيزيقا' .

لقد عرفنا زماناً كانت الميافيزيقا تحتل فيه المقصورة الملكية بين العلوم ، وإذا كانت النوايا تترجمها الأفعال ، فمن الجائز أنهم نظراً لأهمية موضوع الميافيزيقا قد خصصوا لها فيها مضى - مكان الشرف . ولكن «الموضة» اليوم هي إحتقار الميافيزيقا ، وهكذا نرى ربة البيت البائسة المهجورة المنبوذة الحزينة تشكو وتتظلم كـ - هيوكوبا Hecuba مرددة :

Modo maxima rerum, tot generis natisque potensnunc
trahor exul inops (Ovid ; metam. XIII 508).

لقد كان ، باديء ذي بدء ، سلطان الميافيزيقا ، تحت سيطرة الدغماتين ، سلطاناً طاغياً مستبدأ . ولكن بما أن القوانين كانت لا تزال تحمل آثاراً من ببرية قديمة ومن حروب داخلية ، لذلك تفشت فوضى شاملة كاملة ، وأخذ الارتيابيون ، وهؤلاء نوع من بدؤ ، يحقر كل حضارة ، أو ثقافة وطيدة مستقرة في البلاد ، يحيطون بين حين وآخر كل مجتمع متمدن . ومن حسن الحظ أن عدد هؤلاء كان قليلاً ، ولم يكن باستطاعتهم أن ينعوا المستوطنين القدامى من العودة إلى العناية بشؤون الأرض واستنباتها من جديد ، بالرغم من أن هؤلاء لم يكن لديهم مخطط مقرر ثابت أو إتفاق على ذلك . ولقد كان من الجائز ، منذ زمن ليس بالبعيد ، أن يكون المرء قد فكر ، فعلاً ، بأن هذه الخلافات والمنازعات كان يجب أن 'يت' فيها وتحسم ، وأن شرعية مطالب الميافيزيقا قد قررت بصورة

نهاية حاسمة ، وذلك بواسطة نوع معين من فيزيولوجيا الفهم البشري ، وبواسطة مؤلف لوك Locke المشهور .

ولكن بالرغم من أن نَسَبَ هذا المطالب ، أو المدعى ، الملكي والذي تتبعوا أصله ، حتى أحاط زحام من الخبرة العامة ، كان يجب أن يجعل مطالبه موضعًا لشك جد عميق وارتياح جد شديد ، ولكن مع ذلك لما كانت سلسلة النسب هذه قد إتضحت على أنها إختراع مزور ، وببدعة ملفقة فعلاً ، لذلك استرسلت الملكرة الشيخة (الميتافيزيقا) في الاصرار على مطالبهما ، وهكذا تراجع كل شيء ليرتقي في أحضان الدغماتية القديمة المتعففة ، كما وان الاحتقار الذي كان من المتوجب أن يُنقذوا العلم الميتافيزيقي منه ، بقى هو ذاته ، كما كانت حاله أبداً . والآن ، وحاضراً ، بعد أن جربوا كل شيء ، وهذا ما يزعمونه ، وجربوه عبثاً ، فإن السامة والملل والا إكتراضية الكاملة ، والدة العماء واللاتكون ، ودجناء كل العلوم تسود في الفلسفة وتسيطر ، ولكن ، في الوقت ذاته ، فإن الربيع ، أو ، على الأقل ، فاتحة الاصلاح القريب لهذه العلوم ، وفجر ضوئها الجديد ، قد جعلها ، بعد دراسة طبقة تطبيقاً سيئاً ، مشوشة وعديمة الجدوى .

عبثاً يتتخذ المرء نوعاً من الإكتراضية المصطنعة فيما يتعلق بالاستقصاءات التي لا يستطيع موضوعها أن يكون غير مُبالٍ به بالنسبة للطبيعة البشرية . لا بل أن هؤلاء اللامبالين بالذات (مها حاولوا أو قد يحاولون التستر على ذواتهم بواسطة تبديل علم المصطلحات اللغوية الكلامية (المدرسية) إلى لغة (شعبية) ، فهم إذا كانوا يفكرون إطلاقاً ، فسيرتدون حتماً إلى هذه المقاديد (Dogma) الميتافيزيقية بالذات ، التي يجاهرون باحتقارها . وبالرغم من هذا ، فإن هذه الإكتراضية التي تظهر ذاتها في وسط كل وسط أوفر الأحوال ازدهاراً لكل العلوم ، والتي تؤثر في تلك

العلوم بالذات ، التي تكون تعاليمها ، إذا تكون المرأة من تحصيلها ، هي آخر ما يتنازل عنه ، أقول إن هذه الـ إكترايية هي ظاهرة جديرة كل الجدارة بأن نوليه إهتماماً وإعتباراً . فهي بوضوح ليست نتيجة لللامبالاة والاهانة ، بل أنها نتيجة للحكم الناضج^١ لعصرنا الذي لا يريد أن يبقى مكتفياً وقائعاً بمعظمه المعرفة فقط . وهي في الوقت ذاته مناشدة صارخة وقوية للعقل ، كي يقوم من جديد باشد واجباته قسوة وصعوبة ، وأعني بهذا الواجب ، معرفة - الذات ، وأن يشكل حكمة استثناف يفرض عليها أن تحمي الحقوق العادلة للعقل ، ولكن يتوجب عليها أيضاً أن ترد كل زعم لا أساس له ، ويجب أن تقوم بهذا الأمر لا بواسطة أحكام مستهينة غير مسؤولة بل وفق قوانين العقل الخالدة وغير القابلة

١ إننا نسمع مراراً وتكراراً الشكاوى من ضحالة الفكر في زمننا ، وإنخلال المعرفة الصحيحة واحتلاطها . ولكنني لا أرى أن العلوم التي ترتكز إلى اسس راسخة كالرياضيات والفيزياء النج ... تستحق هذا اللوم من بعيد أو قريب . بل إن الأمر على العكس من هذا ، فهذه العلوم مخاضلة على مركز صلادتها القديم ، وهي فيما يتعلق حتى بالفيزياء قد تجاوزته ونحطته . وإن هذه الروح بالذات قد تظهر نفسها في فروع أخرى من المعرفة ، وذلك لو أن مبادئها كانت فقط قد فجرت في البداية تحريراً مديداً . وحتى يتم هذا الأمر ، تكون الـ إكترايية والشك والنقض الشديد في النهاية ، هي بالأحرى علامات لتفكير مستقيم صدوق . إنه عصرنا ، هو عصر النقد ، بكل ما لكته من معنى ، وكل شيء يجب أن ينضج له . أما الدين ، متدرعاً بقوة قداسته ، والفاتحون متسلحاً بسلطان جلاله ، فيها يحاولان أن يسحبوا ذاتهما من هذا الميدان ، ولكنها يستثيران بعملهما هذا ، شكوكاً عادة ، ولا يستطيعان ان يطالباً بذلك الاحترام الخلص الذي يقدمه العقل فقط لأؤلئك الفادرین على اجتياز امتحانه الحر والعلني بنجاح .

للنقض أو التعديل . وان محكمة الاستئناف هذه ليست سوى نقد العقل المجرد .

وأنا لا أعني بهذا نقداً أوجبه للكتب والمناهج ، بل نقداً أوجبه كلية العقل Faculty بصورة عامة نقداً يلامس كامل فصل Class المعرفة ذاك ، الذي قد يكدر فيها بعد وينشط دون الاستعارة بالخبرة . وهذا يتوجب عليه أن يقرر قضية امكانية أو إستحالة الميتافيزيقا بصورة عامة ، وأن يعين منابعها ، وسعتها وحدودها – وكل ذلك وفق المبادئ الراسخة الثابتة .

هذه هي الطريق الوحيدة التي تركت لي ، وقد اتبعتها وسرت عليها ، وإنني لأنطلق نفسي وأداهنا لكوني قد أزلت ، على هذا الشكل ، جميع الأخطاء التي كانت حتى الآن تدفع بالعقل ، في كل حين تتخلل فيه الخبرة عن مساعدته ، إلى الخصم ذاته . وأنا لم أتجنب استئنته بواسطة إقامة الدليل على عجز العقل البشري ، بل إنني صنفت هذه الاستئنة وفقاً لمبادئه ، وبعد أن أظهرت النقطة التي يبدأ العقل عندها باسأة فهم ذاته ، حللت هذه القضية او الاستئلة حلاً مرضياً . وأحق أن الجواب على هذه الاستئلة هو فعلاً ليس كما قد يتمناه التساؤل المشغوف بالعقيدة ، وذلك لأن مثل هذا التساؤل لا يمكن أن يقنع ويرضى إلا بمحيل من شعوذة أراني عاجزاً عنها وغير بارع فيها . ولكن هذا لم يكن مقصد المصير الطبيعي لعقلنا ، وقد أصبح من واجب الفلسفة ان تزيح الخداع الذي نشأ عن ترجمة خاطئة مزورة ، بالرغم من ان الكثير من الأحلام العزيزة على القلب والمتبححة المتعاظمة يجب أن تختفي أيضاً في الوقت ذاته . ولقد تعمدت ، بصورة رئيسية ، في هذا المؤلف الإكمال ، وإنني لأنجز على القول بأنه يجب ألا تكون هناك قضية ميتافيزيقية واحدة لم أجده لها

حلا في هذا الكتاب ، أو قضية لم أقدم لها مفتاح الحل . والحق ان العقل مجرد هو وحدة كاملة الى حد انه اذا دلل مبدأ على عجزه عن الإجابة على اي من الاسئلة العديدة الغفيرة المنطلقة من طبيعته بالذات ، فعلى المرء عندئذ أن يلقي به بعيداً جملة وتفصيلاً ، وذلك بوصفه عاجزاً عن الإجابة عن الاسئلة الأخرى بيقين تام وقناعه راسخة لا يتزعزع لها ركن . وإنني لأرى وأنا أقول ما قلت آنفما ، وألاحظ بعين الخيال تعبير من حنق وسخط ترسم على وجوه قرائي ، تعبير يخالطها الاحتقار لمزاعم قبدو مترعة بالإفتتان بالذات ومسرفة بالغرور ، ولكن مع هذا فانها ، في الواقع ، أشد اعتدالاً من مزاعم ذاك الكاتب لإشد المقالات عامية ، والمجاهر بإقامة الدليل على طبيعة النفس المفردة أو على ضرورة البداية الاولى للعالم . وذلك لأنه بينما يزعم (مثل هذا الكاتب - المترجم) بمدى المعرفة البشرية الى ما وراء كل حدود الخبرة الممكنة ، تراني هنا اعترف بتواضع جد شديد ، بأن مثل هذا العمل هو فوق طاقتني . فأنا أقصد فقط أن اتقضي العقل وتفكيره المجرد ، وهي معرفة يجب ألا يبحث المرء عنها بعيداً جداً ، اذا اعتبر أنها يجب ان توجد داخل ذاته . ان المنطق العام ، يضرب لنا مثلاً كيف انه يكون بالإمكان تعداد جميع أعمال العقل البسيطة واصحائها على شكل تام ومنهاجي . وهناك هذا الفرق الوحيد بين المنطق العام وكتابي ، وهو أن سؤالي هو - ما الذي نستطيع ان نأمل بانجازه بواسطة العقل عندما تؤخذ منا كل مواد الخبرة ويتتبع علينا عونها ؟ وذلك فيما يتعلق باكتمال قبضنا على كل موضوع منفرد ، واتقاننا القبض على كل المواضيع بوصفها مادة أبحاثنا النقدية - بحيث يجري تقرير ذاك الاكتمال وهذا الاتقان لا بواسطة فكرة سلبية ، بل بواسطة طبيعة معرفتنا بالذات .

والى جانب هذا فان اليقين والوضوح من حيث الشكل هما مطلباً جوهريان من الجائز تماماً أنت 'يوجها إلى أي مؤلف قد يغامر بالقيام بهذا العمل الذي تكتنفه مزالق كهذه . أما فيما يتعلق باليقين أولاً ، فقد أصدرت حكماً ضد نفسي عندما قلت بأنه لا يجوز بأية طريقة من الطرق ، أن نتقدم في هذا النوع من الاستقصاءات ، بأراء مجردة ، وان كل شيء يبسو بظاهر الفرضية هو سلعة مهرية يجب ألا يتعرض للبيع منها كان الثمن المعروض رخيصاً بخسأ : ويجب أن تصادر حالما تكتشف . وذلك لأن كل نوع من معرفة يجاهر بكونه بدئية *A priori* أكيداً ، يعلن عن نفسه مطالباً باعتباره ضرورة مطلقة . ولذلك فإن هذا هو أكثر انطباقاً حتى على تعريف كل معرفة بدئية التي يتوجب أن تكونقياس ، ولذلك المثل أيضاً لكل قناعة فلسفية يقينية *Apodictic* . أما ما إذا كنت قد أنجزت ما تعمدت القيام به هنا ، فهذا أمر يجب أن يترك للقاريء تقريره ، وذلك لأن واجب المؤلف هو فقط أن يعرض تعاليله ، وأن لا يقرر مسبقاً ما يتوجب أن يكون لهذه من أثر في قضاته . ولكن حبأ بأن منع أي إضعاف غير ضروري يلحق بهذه التعاليل ، فإنه يجوز للمؤلف أن يشير بنفسه إلى فقرات معينة ويزدها ، بالرغم من أن هذه الفقرات قد تشير إلى مواضيع للمناقشة فقط ، وقد تسبب ببعض الارتياح ، وذلك بغية إحباط الأثر في الوقت المناسب ، هذا الأثر الذي قد يخلفه أقل تردد لدى القاريء فيما يتعلق بالنقاط الثانية بالنسبة للمواضيع الرئيسية .

إنني لا أعرف بأية استقصاءات لتقرير تلك الملكة التي ندعوها بالفهم ولتحديد قواعده وحدوده ، هي أشد أهمية من تلك الاستقصاءات الواردة في الفصل الثاني من هذا المؤلف وفي تحليلي الاستشرافي وتحت

عنوان « الاستدلال القياسي للمعاني العامة المجردة للفهم ». لقد لاقت من هذه المعاني الأمرَين ، لكنني آمل بــ لا تكون جميعها عقيمة وغير مجده . إن لهذا الاستقصاء ، المرتكز إلى أساس عميق ، جانبيين . فالواحد منها يشير إلى مواضيع الفهم المجرد ، ويُقصد به أن يُظهر ويشرح القيمة الموضوعية لمعانيه الكلية البديئة . وهو لذلك ذو أهمية جوهرية بالنسبة لمفاصدي وأغراضي . أما الجانب الآخر فإنه يُقصد به التقصي داخل الفهم المجرد بالذات ، واستقصاء امكانيته وقوى المعرفة التي يستند إليها ، ولذلك يُقصد به تحرّي سجيته الذاتية ، وهو فحوى ، بالرغم من أنها هامة بالنسبة لموضوعي الرئيسي ، لكنها مع ذلك لا تشكل جزءاً جوهرياً منه ، لأن قضيتي الرئيسية هي وتبقى ماذا وكم قد يستطيع الفهم والعقل أن يعرفا بدون كل خبرة ؟ ولنست كيف تكون ملحة التفكير أمراً مكناً ، فهذه الأخيرة ستكون استقصاء داخل علة معلول قد أعطى وُعِين ، ولذلك فستكون لها طبيعة الفرضية (بالرغم من اني سأظهر في مكان آخر أن هذا الأمر ليس على هذا الشكل تماماً) ، كما ، وقد يبدو ، كما لو أني قد سمحت لنفسي بأن أعرض هنا رأياً فقط ، قارئاً للقاريء الحرية في أن يرى رأياً آخر أيضاً . لذلك فاني أحذر القاريء من أنه في حالة عجز استدلالي القياسي الذاتي عن خلق تلك القناعة التامة لديه والتي أترقبها منه ، فإنه يتوجب على الاستدلال القياسي الموضوعي الذي يستأثر هنا ، بصورة رئيسية ، باهتمامي ، أن يبقى محتفظاً بكامل قوته . وذلك لأن هذا الذي قد قيل ، من الجائز أن يكون كافياً بحد ذاته .

أما فيما يتعلق بالوضوح ، ثانياً ، فإن للقاريء الحق في أن لا يُطالب فقط بما قد يُدعى بالوضوح المنطقي أو الاستطرادي ، والذي يرتكز على

المعاني العامة ، [بل أن يُطالب أيضاً بما قد يُدعى بالوضوح الجمالي أو الحدسي الناجم عن الزكانت *Anschanung* ، أي عن الأمثلة والتفاصيل الصلبة المتساكة . أما فيما يتعلق بالوضوح المنطقي فقد تزودت من الأدلة بما فيه الكفاية . وهذا قد نشأ عن طبيعة مقصدي بالذات ، لكنه أصبح في الوقت نفسه السبب الذي لم استطع معه ان ارضي تماماً ما للوضوح الجمالي من مطلب ان لم يكن مطلقاً ، فهو مع ذلك ، مطلب عادل جداً . ولقد كنت طيلة العمل تقريباً في هذا المؤلف اشعر بالارتياح فيما يتوجب علي ان افعله . ولقد بدت دائماً لي الأمثلة والشرح ضرورية ، ولذلك وجدت طريقها الى المخطط الأولى لهذا الكتاب ، ولكن سرعان ما أدركت ضخامة عملي وعدد المواضيع التي يتوجب علي أن أعالجها ، وعندما رأيت أن تلك الأمثلة والشرح حتى بأشد أشكالها الكلامية إيجازاً ، ستجعل كتابي منتفخاً متورماً إلى حد كبير ؛ وجدت من اللائق ألا أمطّ فيه إلى أبعد ، بواسطة أمثلة وشرح تتطلبها المقاصد الشعبية (العامية) فقط . إن هذا الكتاب لا يستطيع أن يرضي الذوق الشعبي ، والقلة التي تعرف لا تحتاج إلى هذه المساعدة ، بالرغم من أن المرء يرحب بها دائماً ، لكنها مع ذلك من الجائز أن تكون أحبطت هنا مقصده بالذات . ولقد كتب « أبي تيراسون » قائلاً : انه لو قسنا عظمة أحد الكتب لا بعدد صفحاته ، بل بالزمن الذي استوجبه منا إتقانه ، لوجدنا أن الكثير من الكتب قد تكون أوجز بكثير ، ولم تكن وجيزة إلى هذا الحد . ولكننا من جهة أخرى لو سألنا كيف يمكن لفكرة معقد ، ومع هذا هو من حيث المبدأ كل متلامح من فكر تأملي ، أن يشرح بأوضح صورة ، فعندئذ قد يكون لنا أيضاً كل

مبرر لأن نقول بأن هناك الكثير من الكتب كانت ستكون أوضاع بكثير مما هي عليه الآن ، لو لم يحاول مؤلفوها أن يجعلوها واضحة جداً على هذا الشكل . وذلك لأن العوامل المساعدة على الوضوح ، بالرغم من أنها قد تفتقد ، فيما يتعلق بالتفاصيل ، غير أنها كثيراً ما تشتبه الفكر وتخبله بالنسبة للكتاب الكامل ، فالقاريء لا يبلغ بسرعة كافية مشاهدة الكل الساكن ومعايشه ، وذلك لأن ألوان الصور البراقة تخفي وتشوه ، تفصل حلقات المنهاج بأكمته وترابطه ، اللذين يكونان في النتيجة أهم من كل شيء آخر ، وذلك إذا ما أردنا أن نحكم على وحدة المنهاج وكفايته .

ولا شك أبداً ، ان الأمر سيكون جذاباً بالنسبة للقاريء إذا ما طلب إليه أن يضم جهوده الخاصة إلى جهود المؤلف ، بغية القيام بإنجاز عظيم هام ، ووفق الخطط المُقتَرَّحة هنا ، وبأسلوب كامل وثابت . إن الميافيزيقا ، وفق التعريف الذي حدد لها في هذا الكتاب ، هي العلم الوحيد من كل العلوم ، الذي يستطيع يجده قليل ، لكنه متعدد ، ان يتطلع إلى إكتمال كهذا وبوقت وجيز ، إكتمال لا يبقى للاختلاف من شيء سوى تنضيد كل شيء وفق نظرائهم في المقاصد من تربوية وتعلمية ، ودون أن يكونوا قادرين على إضافة أي شيء إلى هذا الموضوع (الميافيزيقا - المترجم) وذلك لأنها ، فعلاً ، ليست سوى جزءٍ لم يجتمع ممتلكاتها التي اكتسبناها بواسطة العقل المجرد وأعدادها إعداداً منهاجيأ . وليس هناك من شيء يستطيع أن يفوتنا ، لأن كل ما ينتجه العقل من ذاته كلياً ، لا يستطيع أن يخفي نفسه ، وذلك لأن العقل بالذات يدفع به إلى النور حالماً يكتشف المبدأ العام . وهذا الإكتمال المطلق لا يحصل فقط أمراً ممكناً ، بل ضرورياً أيضاً ، وذلك بواسطة الوحدة الكاملة لهذا

النوع من المعرفة المستقاة بأكملها من المعانى العامة المجردة ،
ودون أن يكون الخبرة أي أثر أو فاعلية فيها ، أو المستقاة من
زكارات خاصة تفضى إلى نوع معين من الخبرة قد يساعد على تضخيمها
وتوسيعها .

Tecum habita et noris quam sit tibi curta Supellex.

(persius sat. iv.62)

إن منهاجاً كهذا للعقل المجرد (التأملي) هو ما آمل بأن أنتجه أو
أبتدعه (أصفه - المترجم) تحت عنوان « ميتافيزيقا الطبيعة ». ولن
يبلغ في حجمه نصف حجم كتاب نقد العقل المجرد ، لكنه سيكون أوفر
ثراةً منه بكثير لا نهاية لها ، فهذا الكتاب ، نقد العقل المجرد ، عليه
أن يكتشف المنبع ذاته ، لا بل أوضاع إمكانيته ، وعليه في الواقع أن
يسافر التربة التي أعشبت فيها النباتات والحياثش الطفيليّة ، وأنني هنا
أتقرب أن ألاقي لدى القراء صبر القاضي وعدم تحيزه ، والنية الطيبة
ومساعدة زميل - عامل . وذلك لأنه منها بلغ عرض مبادئ المنهاج في
نقطي من الاكتمال ، فان اكتمال النهج ككل يستوجب أيضاً عدم حذف
أي معنى عام اشتقاقي ، والذي لا يمكن إكتشافه بواسطة تقدير بدائيّ ،
بل يستلزم أن يكتشف خطوة خطوة . فهناك قد استقصي تركيب
المعانى العامة ، وهنا سيكون من الضروري أن نقوم بالعمل
نفسه بالنسبة لتحليلها ، وهذا أمر سهل وتفكيره ، أكثر من كونه
 عملاً .

ويتوجب على أن أضيف بضعة كلمات قليلة وذلك فيما يتعلق بطباعة
كتابي . فلما كانت بداية الطباعة قد تأخرت لذلك لم أستطع أن أرى
أكثر من نصف ملازمته . وها إنني أشاهد الآن بعض الأخطاء المطبعية .

لقد رتبت موضوع تناقض العقل المجرد ابتداءً بالصفحة ٢٦٢ - ٢٨٦ في
شكل مسطوحي وذلك كي يكون كل ما يتعلق بالقضية Thesis مطبوعاً
على اليسار ، وكل ما يتعلق بالنقيض Antithesis مدوناً على اليمين .
وقد فعلت هذا الأمر كي تصبح المقارنة بين القضية والنقيض أسهل
وأيسر .